مفهوم المعرفة
عند الإمام الغزالي

الحاج محمد تولوجو

معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين
للدراسة الإسلامية جامعة بروناي دارالسلام

٢٠٠٠م

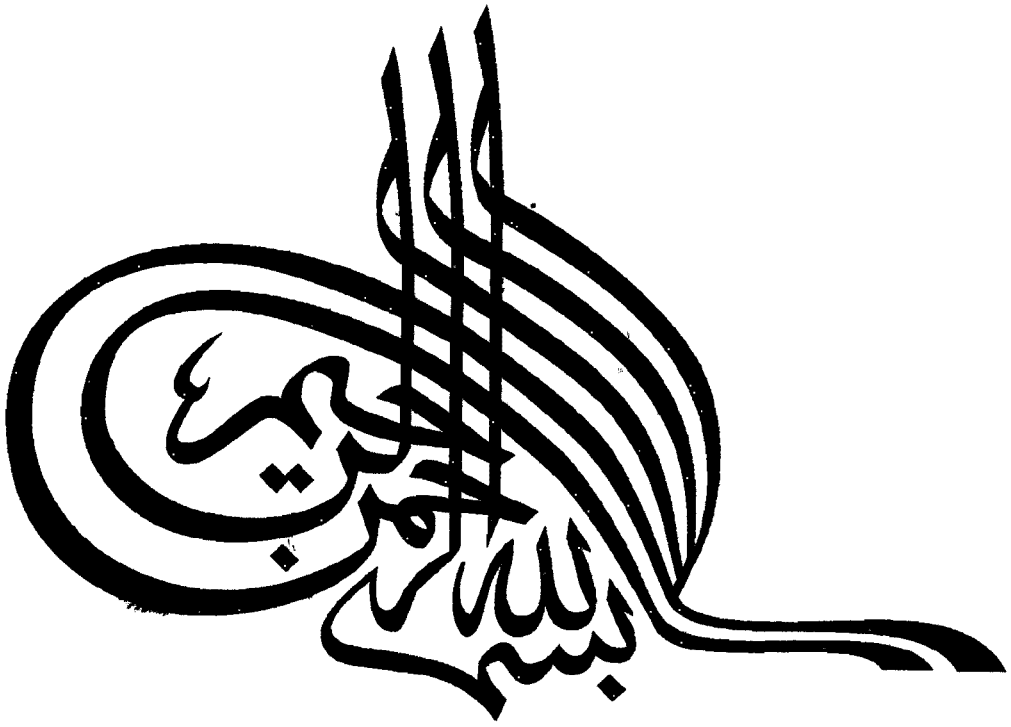
بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم المعرفة

عند الإمام الغزالي

بحث التخرج للشهادة الجامعية مقدمة إلى قسم أصول الدين والدعوة
معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية
جامعة بروناي دار السلام

إعداد

الحاج محمد تولوجو

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور أفور الدين بن عبد المطلب

١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

إقرار

أشهد بأن هذا البحث هو حصيلة جهد الشخصي الخالص إلا ما أخذ من الوثائق والمراجع المشار إليها في البحث.

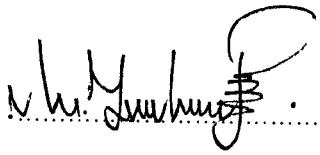

الحاج محمد تولوجو

٩٦١٢٢٨

التاريخ : ٧ صفر ١٣٢١ه.

١٩ مايو ٢٠٠٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وعلى من اقتفى أثره واهتدى بهداه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

فإني أتوجه بخالص الشكر، وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومشرفي فضيلة الأستاذ الدكتور/ أفور الدين بن عبد المطلب، أطال الله بقاءه في طاعته وأفاض علينا من بركاته، على ما أحاطني به من جميل رعايته الأبوية وتربيته الروحية، ومودته الصافية ومحبته الخالصة، أسأل الله تبارك وتعالى أن يرفع قدره ويوسع مدده ويفتح به قلوب العباد، وأطلب من الله العلي القدير أن يجمعني معه ومع سيدي وشيخي العارف بالله فضيلة الأستاذ الدكتور/ أصد جاشا، وسيدي وشيخي العارف بالله/ محمد زاهد كوتكو رضي الله عنهما الذين نعمت بالجلوس معهما والتبرك بالانتساب إليهما، ومع الصديقين والشهداء والصالحين. وأتوجه أيضا بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى معالي وزير التعليم فيهين داتؤ حاج عبد العزيز بن بكاون فيهين أودانا خطيب داتؤ سري فادك حاج أواغ عمر، أطال الله بقاءه وأفاض علينا من بركاته على ما أحاطني به من جميل الرعاية الأبوية والمحبة الصافية، فلقد كان لي نعم الأب والأستاذ والمربي والموجه والناصح فجزاه الله عني وعن العلم وطلابه خير الجزاء. وأذكر بالفضل والعرفان جميع أساتذتي الذين انتفعت بعلمهم وأخص بالذكر من بينهم فضيلة الأستاذ الدكتور/ صادق شائف نعمان، الذي كان بمثابة الأب الروحي لي والمرشد والموجه، فجزاهم الله جميعا عني وعن طلاب العلم خير الجزاء وأكرمهم بواسع كرمه وعظيم فضله.

كما أشكر جميع القائمين على جامعة بروناي دار السلام وكل من مد إلي يد العون والمساعدة في إعداد هذا البحث وإنجازه وتنسيقه وإخراجه على الوجه المرضي إن شاء الله تعالى، بارك الله فيهم جميعا ووفقهم إلى كل خير وأخذ بأيديهم إلى طريق الحق القويم والصراط المستقيم.

((رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين)).

ملخص

قد قررت أن أجعل بحثي حول المعرفة وعلى الأخص المعرفة الذوقية عند الإمام الغزالي. فلبحثي مكون بمقدمة وبتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وقد خصصت التمهيد لحياة الإمام الغزالي ورحلته العلمية. أما في الفصل الأول فقد كتبت عن المعرفة لغة واصطلاحا. والفرق بين هذه التعريفات.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لمفهوم المعرفة عند الإمام الغزالي والمسار العقلى للغزالي في طلب اليقين والفطرة الأصلية كنقطة الإرتكاز في منهجه.وكذلك شرحت كيفية الوصول إلي المعرفة الذوقية.

وأخيرا في الفصل الثالث كلمت عن استعراض الإمام الغزالي للفرق لمعرفة اليقين من ناحية المتكلمين والفلاسفة والباطنية و الصوفية. أما في الخاتمة فقد ذكرت أهم العناصر التي تتعلق بالبحث. وفي نهاية البحث أوردت المراجع والمصادر.

وأسأل الله التوفيق فيما كتبت والحمد لله رب العالمين.

Sinopsis

Saya telah mengambil keputusan untuk menjadikan kajian saya mengenai *Makrifat*, khasnya *Makrifat Perasaan* (Dzauqiah) menurut Imam Ghazali, kajian saya terdiri dari: Muqaddimah (Pendahuluan), Pendekatan Tiga Fasal dan Penutup. Saya khaskan pendekatan ini mengenai kehidupan Imam Ghazali dari perjalanan ilmiahnya. Pada Fasal 1 mengenai definisi Makrifat secara bahasa dan istilah dan perbezaan diantara pengertian – pengertian yang ada.

Fasal 2, saya khaskan untuk membicarakan tentang Mafhum (Pengertian) Makrifat menurut Imam Ghazali dan pola fikirannya dalam mencari keyakinan dan fitrah yang asli sebagai titik tumpuannya dalam metodnya. Demikian pula telah saya jelaskan, bagaimana untuk sampai kepada Makrifat Dzauqiah. Akhirnya pada Fasal 3 saya membicarakan tentang penjelasan Imam Ghazali untuk membezakan *Makrifat Yaqin* dari segi ahli mutakallimin, filosof, ahli kebatinan dan ahli tasawwuf

Pada bahagian penutup, saya menyebutkan beberapa faktor yang berhubung dengan kajian. Pada akhir kajian saya senaraikan kitab-kitab rujukan dan sumber.

Semoga Allah s.w.t melimpahkan taufiq kepada apa yang saya tulis ini.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة.....	٤
التمهيد.....	٧
الفصل الأول	
المعرفة لغة واصطلاحا	١٠
المبحث الأول:تعريفها في اللغة	١٢
المبحث الثاني:تعريفها في الاصطلاح.....	١٢
الفصل الثاني	
مفهوم المعرفة عند الإمام الغزالي	١٣
المبحث الأول:العلم الحسي والعلم اللدني عند الإمام الغزالي.....	١٥
المبحث الثاني:المسار العقلي للغزالي في طلب اليقين.....	٢٥
المبحث الثالث:الفطرة الأصلية نقطة الإرتكاز في المنهج.....	٣٠
الفصل الثالث	
استعراض الفرق لمعرفة اليقين	٣٨
المبحث الأول:المتكلمون.....	٤٠
المبحث الثاني:الفلاسفة.....	٤١
المبحث الثالث:الباطنية.....	٤٩
المبحث الرابع:الصوفية.....	٥٢
الخاتمة.....	٥٧
المراجع.....	٦٠

المقدمة

عن أهمية الموضوع

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علي أفضل خلق الله سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن تبع هداه إلي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتي الله بقلب سليم.

وبعد...

فإن المعرفة تتنوع بإختلاف المصادر. وهي المعرفة الذوقية والمعرفة الحسية والمعرفة الإشراقية والمعرفة العقلية والمعرفة الوحبية. وأشرح في هذا البحث المعرفة الذوقية التي ذاقها الإمام الغزالي وألف فيما يتعلق بها من الطريقة الصوفية وكيفية الوصول إليها.

فإن المعرفة الذوقية تأتي عن طريق القلب بعد مجاهدته وتحققه بالإيمان الصادق ويحصل بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري. فمن يطبق الإسلام في حياته ويعيش بطريق السلف الصالحين، يمنح الله له بعلم من عنده تعالي. كما قال الله تعالي: (فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)[1] . وفي آية أخري : (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)[2].

فمن هذه الآيات نفهم أن من يتق الله يعوضه من عنده علما ما كان يعلمه من قبل فهو يكون ثمرة التقوي.

فيجد العلم بدون تعليم كالأنبياء. هنا تظهر أهمية المعرفة الذوقية ويستطيع السالك أن يصل إلي مقام القرب من الله. **وهذا هو سبب اختياري لهذا الموضوع.**

(ومن رأي الإمام الغزالي أن كل إنسان بطبعه مشوق إلى المعرفة، والدليل علي ذلك أننا نشعر بلذة من عمل حواسنا، فعلاوة علي ما تقدمه لنا الحواس من نفع، فإننا نحبها لذاتها خاصة حاسة البصر التي تعلو علي الجميع، فهي مفضلة، ليس فقط لما تقوم به من عمل بل لأننا حينما لا نرغب في القيام بأي عمل نفضل النظر للأشياء بالبصر. والسبب في ذلك أن البصر يأتينا بقدر أكبر من المعلومات التي تجعلنا ندرك الفرق بين الموجودات.

ويقول الإمام الغزالي بأن المعرفة القلبية المباشرة التي نعرف بها جميع حقائق النبوة وأصول الدين هي الطريق الصحيح للإيمان وهذه هي المعرفة الصوفية، وقد اتضح له

---

[1] سورة الكهف –٦٥.

[2] سورة البقرة–٢٨٢.

أن الصوفية أرباب أحوال لا يمكن الوصول إليها بالتعليم بل بـــالذوق والســلوك وتبدل الصفات أي بالعمل والمجاهدة، وذلك أعسر منالا من العلم النظري)[1].

وانطلاقا من هذه الحقيقة قررت أن أجعل بحثي حول المعرفة وعلى الأخـــص المعرفة الذوقية عند الإمام الغزالي. فلبحثي مكون بمقدمة وبتمهيد وثلاثة فصـــول وخاتمة وقد خصصت التمهيد لحياة الإمام الغزالي ورحلته العلمية. أما في الفصـــل الأول فقد كتبت عن المعرفة لغة واصطلاحا. والفرق بين هذه التعريفات.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لمفهوم المعرفة عند الإمام الغزالي والمسار العقلى للغزالي في طلب اليقين والفطرة الأصلية كنقطة الإرتكـــاز في منهجـــه.وكذلـــك شرحت كيفية الوصول إلي المعرفة الذوقية.

وأخيرا في الفصل الثالث كلمت عن استعراض الإمام الغزالي للفرق لمعرفـــة اليقين من ناحية المتكلمين والفلاسفة والباطنية و الصوفية. أمـــا في الخاتمـــة فقـــد ذكرت أهم العناصر التي تتعلق بالبحث. وفي نهايـــة البحـــث أوردت المراجـــع والمصادر.

وأسأل الله التوفيق فيما كتبت والحمد لله رب العالمين.

---

[1] –أنظر كتاب كيمياء السعادة (للإمام الغزالي). نقل بتصرف.

التمهيد:

الإمام الغزالي حياته العلمية

مولده ومنشؤه: ولد الغزالي في مدينة طوس من إقليم حرا سان سنة ٤٥٠هجري وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد. (ولما حضرت الوفاة والده وصى بالغزالى وأخيه أحمد إلي رجل متصوف صديق له فقال له: إن لى تأسفا عظيما على تعلم الخط، وأريد استدراك ما فاتني في ولدي هذين، فعلمهما، ولا عليك أن تنفذ ذلك جميع ما أخلفه لهما)[1]. (فقام هذا الصوفي علي تعليمهما إلى أن فني المال الذي تركه لهما، ثم قال لهما: اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأو اسيكما به، لذلك فالأصلح لكما أن تلجأ إلي مدرسة فإنكما من طلبة العلم الآن، فحينئذ يحصل لكما قوت يعينكما علي التعليم، فسمع حجه الإسلام وأخوه هذه النصيحة واندرجا في سلك طلبة العلم، فكان ذلك سبب سعادتهما وعلو درجتهما. وكان الغزالي دائما يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله تعالي فأبي أن يكون إلا لله).[2] (مندفعا إلي طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة فتلقي مبادئ العربية والفقه في بلده، وأنتقل إلي جرجان فقرأ مبادئ الأصول علي أحد أعلامها وعاد إلي طوس.

رحلته: و لم يمكث الإمام طويلا ببلدته بعد عودته من جر جان، فقام رحلته العلمية التي أرشدته إلي العلم الصحيح، وأذاعت شهرته في الخافقين فقصد نيسابور حيث لازم إمام الحرمين الجوينى مدة انتهت بوفاة الجوني سنة ٤٧٧ هجري وانتقل إلي العراق وقد سبقه اسمه إلي تلك الآفاق فانصل بالوزير نظام الملك ففوض إليه مهمة التدريس بمدرسته النظامية ببغداد سنة٤٨٤ هجري فأقام يبث العلم ويصنف الأسفار مدة أربع سنين أصابه علي أثرها مرض اضطره إلي مفارقة العراق، فرحل إلي الحجاز حاجا ثم أتي الشام فأقام في القدس نحو سنتين، ورحل إلي الديار المصرية فنزل بالإسكندرية، وعاد بعد ذلك إلي مسقط رأسه طوس منقطعا إلي العبادة، فألزمه فخر الملك ابن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلي ملازمة بيته بطوس حتى مات ستة ٥٠٥ هجرية ودفنه مقرة الطابران بظاهر طوس.

---

[1] –طبقات الشافعية (١\١٩٣) والقسم الدراسي للوسيط (١\١٠٨). (نقل من كتاب أيها الولد- الإمام الغزالى. ص:١٤. دار النصر للطباعة الإسلامية. رقم الإيداع ١٩٨٣\٥٠٤٩).

[2] –طبقات الشافعية (١\١٩٣)، إتحاف السادة (١\٧)، والغزالي للدكتور أحمد فريد رفاعي (١\٨٧). نقل من كتاب أيها الولد. ص:١٤.

مصنفاته: وقد ترجم كتب الإمام الغزالي الكثير منها إلي اللغـــات الأجنبيـــة كرسالته الولدية فقد ترجمت إلي الألمانية باعتناء العلامة فون هامر بـــور غســـتال النمساوي والدرة الفاخرة في أحوال الآخرة ترجمت إلي اللغة الفرنســـية باعتنـــاء العلامة غاو تيه، ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب الغزالي بقى محفوظا لم يصبـه ما أصاب سواه من الضياع والاندثار، و في هذا دليل علي إقبال العلماء والمتعلمـين في أيام الغزالي وبعده علي نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها ومـــن جملـة المطبوع من كتبه بمكتبة الجندي مجموعة القصور العوالي ومجموعة الرسائل الفرائـد ومجموعة المنقذ من الضلال وكتب جواهر القرآن، والأربعين في أصـــول الديـــن، وميزان العمل. وكم ترك رضي الله عنه من كتب في فنون شتى، هي زينة المكتبـــة العربية، ومشكاة أنوار الباحثين في العلوم الإسلامية)[1].

---

[1] -المنقذ من الضلال.

الفصل الأول

المعرفة: لغة واصطلاحا

المبحث الأول:تعريفها في اللغة

المبحث الثاني: تعريفها في الاصطلاح

المبحث الأول: لقد وردت المعرفة بمعني العلم في لسان العرب. يقول ابن منظور في لسان العرب عندما تكلم عن المعرفة بأنه من ـعرف : العرفان: العلم: قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عرفه يعرفه عرفة وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترفه: قال أبو ذؤيب يصف سحابا.

مرته النعامي، فلم يعترف

خلاف النعامى من الشام ريحا

ورجل عروف وعروفه: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة، والهاء في عروفة للمبالغة.[1]

عرف الشيء: علمه. عرفه الأمر: أعلمه إياه. اعترف بشيء: أقربه علي نفسه. عرف اللسان: ما يفهم من اللفظ بحسب وضعه اللغوي. عرف الشرع: ما جعله علماء الشرع مبني الأحكام. (المعرفة)مصدر: إدراك الشيء على ما هو عليه.[2]

المبحث الثاني: تعريفها في الاصطلاح: المعرفة ما وضع ليدل علي شئ بعينه، وهي المضمرات والإعلام والمبهمات وما عرف باللام والمضاف إلي أحدهما، والمعرفة أيضا إدراك الشيء علي ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمي الحق تعالي بالعالم دون العارف.[3]

من الاصطلاح أيضا: ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطبلع السليمة بالقبول. [4]

---

[1] ـلسان العرب (دار صادر بيروت). للإمام العلاّمة أبي الفضل جال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري. المجلد التاسع-ص:٢٣٦.

[2] ـالمعرفة في منهج القرآن الكريم. (صابر طعيمة). دار الجيل بيروت- لبنان. الطبعة ما ذكرة.

[3] ـكتاب التعريفات (الشريف علي بن محمد الجرجاني).

[4] ـالمعرفة في منهج القرآن الكريم.

الفصل الثاني

مفهوم المعرفة عند الإمام الغزالي

المبحث الأول:العلم الحسي والعلم اللدوني عند الإمام الغزالي

المبحث الثاني:المسار العقلي للغـــزالي في طلـــب اليقين

المبحث الثالث:الفطرة الأصلية نقطة الإرتكـلز في منهجه

المبحث الأول: العلم الحسي والعلم اللدني عند الإمام الغزالي.

أبو حامد الغزالي ألف كتابه (الإحياء) كما لو كان امتدادا لرسالة القشيرى ودعوته. الغزالي وإن كان قد تأثر بالإشراق بعض التأثر فيما مال إليه من القول بعلم الباطن[1]. والدعوة إلي التصوف والمجاهدات، والرياضات كطريق الكشف والوصول إلي المعرفة اليقينية أو العلم اللدني[2]- إلا أنه يحمد له أنه حال بين التصوف والصوفية، وبين الانحراف في تيار المذاهب الإلحادية من الاتحاد أو الحلول مثلا. بل عارض ذلك وقاومه بكل حجة ودليل. فأعلن أنه لا يليق بصاحب الكشف والمشاهدة. أن يقول بما يتعارض مع العقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد الخالص التي تفرق بين العبد والرب، وتؤكد أن الرب رب، والعبد عبد، وهذه هي عقيدة الإمام الغزالي أيضا، فإنه في حال مجا هداته ورياضته يصف لنا ذلك القرب الذي يصل إليه، بأنه درجات، (يضيق عنها نطاق النطق) وأن من تخيل فيه حلولا، أو اتحادا. أو وصولا فهو مخطئ، وإنما هي درجة من القرب وكفي ومن ناحية أخري فقد أحال ذلك علي أنه من باب التوهم لأصحاب هذه العبارات وأنهم لم يسعفهم لسان النطق في التعبير عن هذا القرب وذلك التوحيد الذي وصلوا إليه. أو أنه من باب التوسع والتجوز اللائقين بعادة الصوفية والشعراء. فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام من الإفهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر:

أنا من أهوي ومن أهوي أنا نحن روحان حللنا بدنا

وذلك مؤول عند الشاعر فإنه لا يعني به أنه هو تحقيقا، بل كأنه هو، فإنه مستغرق الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد علي سبيل التجوز، وهي (بلسان الحقيقة توحيد) وصاحب هذه الحال يعتبر في فناء الفناء (لأنه لا يشعر بنفسه ولا يعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه).

كذلك يري أن من هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي (انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، فنظرت فإذا أنا هو) وأن معناه: (أن من ينسلخ من

---

[1] -الإحياء طبعة الشعب كتاب العلم ص:٢، ٥، ٣٤، ٣٥. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي بين الدين والفلاسفة).

[2] -الإحياء ص: ٥، ٣٥، ١٣٧١، المنقذ ص: ٨٤، ٨٥، ١٢٦- ١٤٧، ص :١٣١-١٣٢، قارن: مدخل إلي التصوف الإسلامي ص:٢٠٠-٢٠٦، ٢٠٧. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي بين الدين والفلاسفة).

شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقي فيه متسع لغير الله... يصير كأنه هو، لا أنه هو تحقيقا).[1]

ويري نيكولسون أن هذه العبارة من أبي يزيد موهمة القول بوحدة الوجود، لا الاتحاد، ولكني أري أن فكرة وحدة الوجود، لم تكن نضجت في هذا العصر بحيث تصير متطابقة مع هذا الاسم تماما، ثم إن نيكولسون قد عاد، فقال: إن صوفية القرن الثالث حافظوا علي التوازن بين الشريعة والحقيقة، بحيث لا نتغلب إحداهما علي الأخرى.

ويعلق علي ذلك د.أبو الوفا التفتازاني بقوله: (والمسألة في رأينا لا تعدو مجرد شعور نفسى من البسطامي بالاتحاد، فهو لا يقصد حقيقة الاتحاد لمخالفته صراحة للعقيدة الإسلامية... ولعل هذا هو ما جعل بعض الصوفية كالجنيد يلتمس للبسطامي العذر فيما نطق به من شطحات).

أن سيادته رأي نهائيا، أن (أصحاب الشطحات ليسوا من الصوفية أكمل، وأن هذا هو رأي كثير من أهل التصوف المعتدلين). [2]

ثم نري الإمام الغزالي يلجأ إلي سد هذا الباب جملة وبدلل علي أنه ليس ممكنا عقلا، فيقرر بالنسبة للاتحاد بين ذاتين، أننا أمام احتمالات ثلاثة: (فإما أن تقال كل ذات منهما موجودة، وإما أن تفني إحداهما، وتبقي الأخرى، وإما أن تفنيا معا). ففي الاحتمال الأول، ليس هناك اتحاد، وكذلك بالنسبة للاحتمال الثاني إذ الاتحاد لا يكون بين موجود ومعدوم وفي الاحتمال الأخير فإن القول بالاتحاد باطل أيضا (إذ الأولى بنا هنا، أن نتحدث عن الانعدام لا عن الاتحاد)[3]. و في إنكار فكرة الحلول، بين أن الحلول إما أن يكون بين جسمين، فالله المنزه عن معني الجسمية يستحيل في حقه ذلك.وإما بين عرض وجوهر، فالعرض ليس قوامه إلا بالجوهر. وهذا (محال علي كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالي في هذا المعرض).

---

[1] -المقصد الأسنى ص:٩٩-١٠٠، دراسات في الفلسفة الإسلامية ص:٦١. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة).

[2] -مدخل إلي التصوف الإسلامي ص:١٤٧. (نقل التصوف الإسلامي).

[3] -دراسات في الفلسفة الإسلامية ص:٦٣، المقصد الأسنى ص:٩٩، قارن ابن تيمية بمجموعة الرسائل والمسائل ج:١ ص:١٠١، ١٠٢، المسائل الخمسون علم الكلام للفخر الرازى ص: ٣٥٨، ضمن بمجموعة رسائل طبع فرج الله الكردى سنة ١٣٢٨ه. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

ثم يؤكد مخالفته تعالي للحوادث، وعلوه علي المخلوقات، وأن الإنسان مهما يتخلق بأخلاق الله أو بأسمائه. فليس له من هذه الأسماء، إلا أوصافا (علي نوع من التقييد خال عن الإيهام، وإلا فمطلق هذا اللفظ موهم).

وقد وقف عند هذا الحد في معرفته الذوقية، لأنه كما يقول ابن طفيل، قد هذبته العلوم وصقلته المعرفة، ولذلك كان في أبحاثه ومشاهداته محدودا بحدود الدين يقف (إنما قبل النهايات، ولا يترك لنفسه العنان تقول ما قاله غيره. (فحظيرة القدس أعلي من أن يطأها أقدام العارفين، وأرفع من أن يمتد إليها أبصار الناظرين، بل لا يلمح ذلك الجانب الرفيع، صغير، أو كبير، إلا غض من الدهشة والحيرة طرفه).[1]

و في رأيه أن هذا هو الذي يجب أن يكون مبدأ للاولياء، والراسخين في العلم، فيقرون علي أنفسهم بالعجز، وير تضون لأنفسهم مسلك الاقتباس من النور النبوي) فما من عارف، أو حكيم عاقل، يدعي لنفسه (كمال المعرفة بالله تعالي، حتى لا ينطوي عليه شئ إذ لا يعرف الله حق المعرفة سوى الله تعالي). فلا داعي إذن للتوهمات وللتخيلات والشاطحات التي توقع في الحلول أو غيره من المذاهب الأخرى ولا توصل إلي حقيقة، أو يقين.

العلم الحسي والعلم اللدنى:

في هذه الحدود يسير الإمام الغزالي في تصوفه، وتلك هي فكرته عن العلم اللدنى، فيرى أن العلم اليقين، هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقي معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم) وأن هذه هي معرفة الأولياء، أو العلماء الراسخين في العلم، فكل مالا يلمس الإنسان علي هذا الوجه، ولا تيقنه علي هذا النحو من اليقين(فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني). وهو يعتقد أن الطريق إلي إدراك المعرفة علي هذا الوجه، ليس العقل بمقاييسه واستدلالاته، بل هو البصيرة أو القلب، فذلك طور وراء العقل.

أما العقل فمع ثقته به وتقديسه له إلي أبعد مدى فمجاله الحس أو مجاله عالم الملك أو الشهادة، ومجال البصيرة والمشاهدة عالم الملكوت وهو ما وراء عالم الملك الممثل في السماوات والأرض وما بينهما. وفي كلا الحالين، فالقلب وعاء العلم والمعرفة أو هو المرآة التي تنعكس عليها العلوم من هاتين النافذتين: نافذة الحس ونافذة البصيرة. فإذا للقلب بابان: باب مفتوح إلي عالم الملكوت وهو اللوح

---

[1] –إلجام العوام عن علم الكلام ص:٢٧١ من مجموعة القصور العوالى طبعة الجندي الأولي، دراسات في الفلسفة الإسلامية د.محمود قاسم ص:٥٥ الطبعة الخامسة. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

المحفوظ عالم الملائكة، وباب مفتوح إلي الحواس الخمس المتمسكة بعـــالم الملـــك والشهادة والأول طريق الأولياء والأنبياء، والثاني طريق العلماء. ويعقـــد الغـــزلي موازنة بين كيفية حصول العلم الحسي في القلب وحصول العلـــم الخـــارج عـــن مدركات الحس وتقوم هذه الموازنة علي أساس أن الإنسان نسخة من العـــالم [1]، أو كما يقول في تعبير آخر له، أن الإنسان عالم صغير في مقابلة العالم الكبير. فيمثل القلب بحوض محفور في الأرض معرض لأن يأتي إليه الماء من ظـــاهر الأرض عـــن طريق جداول صغيرة تصب فيه ويحتمل أيضا، أن يحفر أسفله إلي أن يقرب مـــن مستقر الماء الصافي . فينفجر الماء من أسفل الحوض (فيكون ذلك المـــاء أصفـــي، وأدوم، وقد يكون أغزر وأكثر).

فذلك الماء هو العلم، وتلك الجداول، هي الحواس الخمس، وهما مثال العلم الحسي، وطريقة تحصيله، أما ذلك الحفر وهذا الماء الذي نبع من باطن الحـــوض، فهما مثال العلم اللدنى، علم الأولياء والأنبياء، وطريقه وهو تطهير القلب. فـــالقلب يقبل كلا الطريقين. طريق البحث وطريق الذوق، فمن الممكن أن تساق العلوم إليه (بواسطة أنهار الحواس، والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما، ويمكن أن تســـد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر، وبعمد إلى عمق القلب بتطهيره، ورفـــع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله)[2].

وهو يقيم ذلك علي أساس الفكرة المتقدمة، وهي أن الإنسان عالم صغير وهو نسخة من العالم الكبير، ففيه كل ما في ذلك العالم الكبير، من حقائق ومعلومـــات، وهو يقرب لنا ذلك بمثال من واقع الحياة العملية فيقول (فكما أن المهندس يصـــور أبنية الدار في (بياض) ثم يخرجها إلي الوجود علي وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السماوات والأرض، كتب نسخة العالم من أوله إلي آخره في اللوح المحفـــوظ، ثم أخرجه إلى الوجود علي وفق تلك النسخة وتلك النسخة من العالم قد طبعت منـها صورة أخري في حس الإنسان وخياله، فان من ينظر إلي السماء والأرض ثم يغمض عينيه فإنه يرى صورة السماء والأرض وما فيهما في خياله في هذه الحالة، حتى لـــو زالت السماوات والأرض، وبقي هو في نفسه، فإنه سيجد صورتهما في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما، ثم يتطرق من خياله صورة إلي قلبه فيحصل فيه كل مـــا

---

[1] -الإحياء ص:١٣٧٤ ويستدل علي ذلك بقوله: (فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذلك، لما لك خير مما يباين ذاتك). نفس المصدر، والصفحة، كيمياء السعادة ص ٩٣. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[2] -الإحياء ص:١٣٧٣-١٣٧٦.

حصل خياله من حقائق، وهكذا لا بد أن يدرك الإنسان كل ما في العالم، لأنه لا يدرك إلا ماله مثال في ذاته (فلو لم يجعل للعالم مثالا في ذاتك، لما كان لك خبر مما يباين ذاتك[1].

وهو بهذا يحدد لنا طريق العلماء وطريق الأولياء في الحصول علي العلم اللدني فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم، واجتلابها إلي القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب، وتطهيرها وتصفيتها وتصقلها فقط ويضرب لذلك مثالا، هو ذلك المثال المشهور بنقش أهل الصين، وأهل الروم، وهو أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على عقد مسابقة بينهم فسلم إلي كل فريق منهم جانبا من صفة وكان الجانبان متقابلين، وأرخي بينهما حجابا يمنع اطلاع كل فريق علي الآخر، فجمع أهل الروم من الألوان ولأصباغ ما لا حصر له، وما ليس له مثيل في الجودة.

ودخل أهل الصين من غير صبغ ولا لون، ولكنهم أقبلوا علي جانبهم يجلونه ويصقلونه، فلما فرغ أهل الروم من نقشهم أعلن أهل الصين أيضا انهم قد فرغوا من نقش، ورفع الحجاب وإذا بجانبهم تتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل، فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل. فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه، حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق، وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب[2].

وهو يسمى ذلك العلم الذي يحصل بالاكتساب وحيلة الدليل اعتبارا واستبصارا، ويقابله ذلك العلم الذي لا يحصل بالاكتساب ولاحيلة للدليل بل يلقى ذوقا وكشفا، وهو إما إلهام أو وحي خاص بالأنبياء، كما أن الأول خاص بالأولياء والأصفياء. والإلهام يختلف عن الوحي في أن صاحبه لا يرى الملك المفيد للعلم أما الوحي، فإن الأنبياء فيه يشاهدون جبريل حين يوحي به إليهم[3].

وإذا كان الإمام الغزالي قد غض بذلك شيئا من شأن العلوم النظرية القائمة علي المنطق والاستنباط، فإنه يرى، أن هذا الاتجاه الذوقي هو الذي يستطيع العالم

---

[1] -الإحياء، ص:١٣٧٤.

[2] -الإحياء، ص:١٣٧٦.

[3] -الإحياء، ص:١٣٧١، قارن د.أبو الوفا في مجلة الرسالة عام ١٩٥١ عدد ٩٢٢ ص:٥٥٢، في مدخل إلي التصوف الإسلامي أيضا: ص:٢١٠-٢١١. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

به أن يحل كثيرا من المشاكل العقائدية التي خاض فيها علماء الكلام والفلاسفة دون طائل ولذلك حرص عليه المتصوفة، وبذلوا فيه الجهود. وهو يقول في هذا الصدد مدافعا عن وجهة نظره هذه أما بعد: أن حقيقة الحق والضلال وسرهما، إنما ينكشف لقلوب طهرت، عن وسخ أو ضار الدنيا أولا (ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا، ثم نورت بالذكر الصافي ثالثا)، ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا، ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا، حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة، وصارت كأنها مرآة مجلوة[1] .

وهنا ندرك حقيقة ما يرمى إليه في مثل قوله:(فاعلم أن ميل أهل التصوف إلي العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا علي دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة الخ)[2]. ويسمى الغزالي علم الأولياء هذا بعلم المكاشفة أو علم الباطن، وهي تسمية لا تصل في مدلولها إلي ما رأيناه عند الشيعة ويرى أنه علم طريق الآخرة.

ثم ينقل عن بعض العارفين أن من لم يكن له نصيب منه، فإنه يخاف عليه سوء الخاتمة، وإن أدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله فهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره و تزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة، فمنها المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وإن كانت معرفة لا تقوم علي إدراك ذاته سبحانه إدراكا تاما: لا يعرف حقيقة الله إلا الله. وكذلك المعرفة بصفاته الباقيات التامات وأفعاله... والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي والشيطان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم، ومعرفة القلب، ومعرفة الآخرة والجنة والنار، ومعني لقاء الله عز وجل والنظر إلي وجهه الكريم، ومعنى حصول السعادة بموافقة الملأ الأعلى، ومقارنة الملائكة والنبيين.(فمعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجرى مجري العيان الذي لا يشك فيه)[3]. وهذه هي المعرفة الحقة كما يراها. وهي الأمانة أيضا التي تشير إليها الآية الكريمة: (إنا عرضنا الأمانة علي السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها

---

[1] –مدخل إلي التصوف الإسلامي ص:٢٠٦–٢١٠. ص:١٤٤،١٤٥ من المجموعة المتقدمة. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[2] –الإحياء، ص:١٣٧١.

[3] –الإحياء ج:١ ص:٣٤،٣٥، قارن المنقذ ص:١٣١. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

الإنسان)[1]. وهي إيمان العارفين. وهذا الإيمان يختلف عن إيمان العوام بذلك الكشف التفصيلي الذي يقوم علي إشراق في المعرفة وإدراك الأسرار النائية عن مشاهدة الأبصار والتي هي قوام عالم الملكوت.

إذ قصارى إيمان العامي أن يؤمن إيمانا مجملا كتصديقنا بأن في الدار زيدا مثلا دون أن تراه. أما إيمان الأولياء وأهل المعرفة فهو أن ندخل الدار وننظر إلي زيد بالعين، ونشاهده مشاهدة يقينية، وفي أي ركن من أركان البيت، وعلي أي كيفية الخ: ويعلق علي ذلك أبو ألوفا بقوله: فإيمان الصوفية ينطوي فيه إيمان العوام والمتكلمين، ثم يتميز الصوفية بمزية استحالة الخطأ، لأن مشاهدتهم توجب اليقين، وهذا الاتجاه الذي لا يحقر الغزالي فيه العامة، ويقارن فيه بين العلم الإجمالي والعلم التفصيلي، نجده واضحا عند كل من ابن رشد في العقليين. وابن عربي في الصوفة فهو اتجاه يجمع بين رأي أهل الذوق وأهل العقل في هذه الوجهة، مما يؤكد أن الغزالي مفكر عقلي مؤمن[2].

أثر عن الإمام الغزالي من الكلام الذي يوهم التسوية بين إلهام الأولياء، ووحي الأنبياء، من مثل قوله: فالأنبياء والأولياء، انكشف لهم الأمر لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة علي الله تعالي الخ[3]. يمكن حمل هذا الكلام علي مجرد التصنيف، والجمع بين العلمين، وعلي أساس التقارب لا التشابه الكامل، فإن الإلهام أيضا يأتي عن طريق الملك، كما في الأثر عن عبد الله بن مسعود (إن للملك لمة، وللشيطان لمة) وربما رفعه بعضهم إلي النبي صلي الله عليه وسلم، وكما جاء في الحديث الشريف (من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يسأل القضاء، و لم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده)[4]. الخ وخاصة أنه عاد بعد ذلك، وبين أن الأولياء فقط هم الذين يتخذون طريق الرياضة والتطهر سببا للحصول علي هذا العلم. فهو في الواقع قد جعل رتبة النبي أقصى و أفضل الرتب، وبين أنه

---

[1] –سورة الأحزاب:٧٢.

[2] –دراسات في الفلسفة الإسلامية ص:٤٣-٥٩.(نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[3] –الإحياء، ص:١٣٧١، ١٣٧٦.

[4] –نقض المنطق لإبن تيمية ص:٢٨،٢٩، تفسير المعوذتين له أيضا ص:١٩٦ ج:٢ من مجموعة الرسائل الكبرى الطبعة الأولي سنة ١٣٢٣ ه. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

هو الذي تتكشف له كل الحقائق، أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف، بل بكشف إلهي في أسرع وقت.

وقد قال من قبل إنه لا يعرف حقيقة الله إلا الله، كذلك قال هنا: (ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي)[1] ، ولهذا فإنه يري أن قوة البصيرة والمشاهدة لدي الأولياء والأنبياء والأصفياء لها حدودها، وأن أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد، بالإضافة إلي حسن المعاد هو النبي صلي الله عليه وسلم فإن ما ينتفع به في الآخرة أو يضر لا سبيل إلي معرفته بالتجربة ومن الذي رجع من ذلك العالم فأدرك بالمشاهدة ما نفع وضر، وأخبر عنه[2]؟.

و كما أنه جعل للعقل حدودا، كذلك جعل للبصيرة رغم تحمسه لها حدودا تقف عندها فهي تنتهي حيث يبدأ نور النبوة. وهكذا يعتصم الإمام الغزالي بالكتاب والسنة ما استطاع أمام هذا الجو الإشراقي، فيقول مثلا في إلجام العوام: إن الحق في معرفة الله وصفاته وما يتصل بالحضرة الإلهية، أو حضرة الربوبية بمفهومها الواسع هو مذهب السلف، ويقيم علي ذلك الدلائل العقلية والسمعية.

أما العقلية فمنها ما تقدم وهو أن للرسول صلى الله عليه وسلم، هو أعرف الخلق بصلاح أحوال المعاش والمعاد الخ و أنه لذلك أفاض إلي الخلق ما أوحي إليه من صلاح العباد في معادهم أو معاشهم لم يكتم منه شيئا لأنه لم يبعث إلا لذلك ومن هنا كان رحمة للعالمين.

ثانيا أن أصحابه رضوان الله عليهم، هم أعرف الناس بمعاني كلامه صلي الله عليه وسلم وأحراهم بالوقوف علي كنهه لأنهم شاهدوا الوحي وصاحبوه بل لازموه آناء الليل والنهار وليسوا متهمين أبدا في فهم كلامه صلي الله عليه وسلم، أو في إخفاء هذا الفهم، أو التضليل فيما كلفوا بتبليغه والعمل به. فنعلم بالقطع من هذه الأصول، أن الحق ما قالوه، والصواب ما رأوه، لاسيما وقد أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[3].

فهو المرجع في كل علم ومعرفة وطريقتهم خير الطرق، وقد قال صلي الله عليه وآله وسلم: (ستفترق أمتي فيها سبعين فرقة، الناجية منهم واحدة فقيل من هم؟

---

[1] -الإحياء ،ص:١٣٥٢-١٣٥٣.

[2] -إلجام العوام، ص:٢٧١. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[3] -الجام العوام، ص:٢٧١-٢٧٣. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

فقال أهل السنة والجماعة. ما أنا عليه الآن وأصحابي)[1] وبهذه المناسبة، فان ابن تيمية يشير إلي أن إلجام العوام هذا يعتبر من الغزالي رجوعا في أخر أمره إلي طريقة السلف أهل الحديث بعد أن كان علي طريقة الفلاسفة والصوفية وربما اعتضد في رأيه هذا بما يذكره الغزالي في إلجام العوام من أن كتاب المقصد الأسنى سابق علي إلجام العوام وكذلك فإننا لم نعثر علي اسم هذا الكتاب الأخير في الإحياء، ولا في المنقذ وغيره من الكتب التي تؤرخ لحياته التصوفية ولكن من الممكن أن ننظر إلي هذا الكتاب علي أنه هو القسم الثالث المتمم لنواحي فكر الغزالي الثلاث والتي يؤمن بها علي مستوي واحد وأنها كل متكامل، وهى الناحية الاستدلالية العقلية، والثانية طريقة أهل الكشف والتصوف والثالثة طريقة السلف رضوان الله عليهم، وأن تفكيره كل متكامل من هذه النواحي الثلاث ، وخاصة أننا نراه في إلجام العوام يقول بكشف الأولياء ومعرفة أهل العرفان ويرددها في أكثر من موضع[2].

وكذلك في الإحياء لا يتكلم عن طريقة الكشف علي أنها طريقته وكفي، بل كثيرا ما يسند الكلام فيها إلي غيره مثل قوله: وزعموا أن الطريق في ذلك بانقطاع علائق الدنيا الخ. فنراه يتحدث في ذلك حديث معلق لا حديث صاحب رأى ومذهب لا يعدل عنه إلي غيره. وهو نفس المنهج الذي يتخذه ابن تيمية بصدد بيان الطرق التي تحصل بها العلوم والمعارف. وبذلك فمن المرجح أن الإمام الغزالي، كان سلفيا في حياته الفكرية خاصة وأن بروكلمان يقول: إنه عثر علي نسخة من إلجام العام بعنوان آخر هو رسالة في مذهب السلف[3].

كل ما هنا لك أن له ميلا تصوفيا، وذلك قد رأيناه في ابن تيمية نفسه. وكون إلجام العوام آخر رسائله، فانه لا يسند رأى ابن تيمية في أن الغزالي لم يكن سلفيا في حياته الأولى. فربما لو كان قد امتد به الأجل لكتب بعد إلجام العوام مثل ما كتب قبله، إذ أن طبيعة العصر كانت تفرض علي كل مفكر ينافح عن الدين، أن يخوض في مثل هذه البحوث الفلسفية والكلامية وغيرها، وهذا هو الذي لم يستطع ابن تيمية نفسه أن يمنع نفسه منه.

---

[1] -الجام العوام، ص:٢٧٣، عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لابن تيمية ص:١٠. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[2] -الجام العوام ،ص:٢٧١-٢٧٢. مدخل إلي التصوف الإسلامي، ص:٢١٠،٢١١.(نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[3] -مؤلفات الغزالي د.عيد الرحمن بدوى. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

وقد التقى مع الغزالي في هذا الاتجاه السني بعد مرحلة تطواف طويلة شـــيوخ أصحاب الطريقة الاستدلالية من علماء الكلام، وغيرهم من أصحـــاب الطريقـــة الذوقية من أهل التصوف. فهذا أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى يقول في كتابـــه اللذات كما ينقل عنه ابن تيمية: (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلســـفية، فما رأيتها تشفى عليلا، ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطـــرق طريقـــة القـــرآن الخ)[1].

وكذلك قد انتهى إلي مثل هذه الغاية إمام الحرمين الجوينى، وأبو عبد الله محمـــد بن عبد الكريم الشهرستانى. ومر بهذه التجربة أيضا الإمام الشوكاني وقال في ذلك: فإني في أيام الطلب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتـــارة علـــم التوحيد، وأكببت علي مؤلفات الطوائف المختلفة منهم فلم أظفر من ذلك بغـــير الخيبة والجيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إلي مذهب السلف[2].

وكذلك في الصوفية المتفلسفين نجد ابن الفارض. فإنه لما حضرته الوفاة، أنشـــد هذين البيتين يتحسر فيهما علي ما أضاعه في تطرفه في نظريته في الحب الإلهي:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أحلامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام [3]

هذه هي المعرفة عند الإمام الغزالي، ورغم ما مسها من صبغة خفيفـــة مـــن الإشراق، إلا أنه مع ذلك قد لونها بلونه السنى الإلهامى، ووقف بها عنـــد حـــدود الدين، وحفظ للوحي درجته، وللأنبياء علوهم علي كل علم أو تعلم بشـــرى، أو معرفة صوفية[4].

وقد نقل ابن تيمية عنه بأنه صرح بأن قتل من ادعى أن رتبة الولاية أعلي مـــن رتبة النبوة أحب إليه من قتل مائة كافر، لأن ضرر هـــذا في الديـــن أعظـــم[5] . ومحافظة الإمام الغزالي علي هذا الاتجاه السني جعلت بعض الفلاسفة ومـــن نحـــا نحوهم من الصوفية، يعيبونه علي هذا المسلك، ويقولون: إنه مقيد بالعقل والشرع. وهذا له دلالته علي مدى تمسكه بالكتاب السنة. كذلك أن ابن عربي عاب الغزالى

---

[1] -نقض المنطق لابن تيمية، ص:٦٠-٦١. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[2] -رسالة (التحف في مذاهب السلف) ص:٤٥. ضمن عشر رسائل سلفية طبعة المنار سنة ١٣٥١ ه. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[3] -نقض المنطق، ص:٦٢. (نقل من كتاب التصوف الإسلامي).

[4] -المنقذ، ص:١٣٣-١٣٩، ص:١٤٥.

[5] -المنقذ، ص:١٤٢.

أيضا علي طريقته في الجمع بين الكشف والعقل، وقال: إن أدلة العقل من شأنها أن تطمس نور الكشف. وقد تقدم أن الإمام الغزالي قد قال في الإحياء مـــا يشـــعر بذلك. ولكن روح مذهبه العامة تعطى أنه استخدم العقل والشرع حكمـــا فيمـــا يصل إليه في حال الكشف، وأنهما معا عنصرا الدين الأساسيان.

فالمعرفة عند الغزالي، وإن كان طريقها الكشف إلا أن قوامها، الشرع والعقـل وكما يقول الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازاني: فإن استخدام العقل عند الغزالي في ميدان الشريعة، راجع عنده إلي أن كل تكليف إنما هو بشرط العقل، ثم إذا ترقـى السالك من مقام الشريعة إلي مقام الحقيقة استخدم منـــهج الكشـــف أو الـــذوق فالكشف ثمرة الشريعة واستخدام العقل يكون في البداية[1].

المبحث الثاني: المسار العقلي للغزالي في طلب اليقين.

(أن الغزالي ارتأى طريقة المتصوفة في اكتساب المعارف، هـــي الطريقـــة القويمة. والآن نريد أن نزيد هذه الطريقة إيضاحا وبسطا. وهي جديرة بأن تبحث، وأن يوقف معها وقفات ليست بالقصيرة، لأنها ذات شأن هام في حياته الفكريـــة. فهي التي انتشلته من وهدة الشكوك التي تردى فيها، وهي الـــتي بســـببها فضـــل المتصوفة على الفلاسفة والمتكلمين. وهي عنده مصدر العقيدة الدينية.

كما قال في كتابه مقدمة المنقذ[2]: و بالرغم من أن الغزالي، قـــد اقتبـــس فكـــرة الكشف هذه، من طريقة الصوفية، فإنه امتاز عن غيره، بجعلها مفتـــاح العلـــوم، ومصدر العقيدة الدينية.

قال الغزالي[3]: إن العلوم التي ليست ضرورية، وإنما تحصل في القلب في بعـــض الأحوال، يختلف الحال في حصولها.فتارة تحجم علي القلب، كأنه القي فيـــه مـــن حيث لا يدري. وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريـق الاكتساب وحيلة الدليل، يسمي إلهاما. والذي يحصل بالاستدلال يسمي اعتبـــارا واستبصارا. ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد، ينقسم:

١-إلي ما لا يدرى العبد أنه من أين حصل له؟ وكيف حصل؟

---

[1] – التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة. (د.إبراهيم هلال). كلية البنات- جامعة عين شمس- ١٩٧٩. دار النهضة العربي). (المبحث الأول كل نقل من هذا الكتاب)

[2] –مقدمة المنقذ من الضلال.

[3] –الإحياء، ج٨ ص:٣٢.

المراجع

*القرآن الكريم.

*لسان العرب (دار صادر بيروت). للإمام العلامة أبي الفضل جال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري. المجلد التاسع.

*المعرفة في منهج القرآن الكريم.(صابر طعيمة). دار الجيل بيروت- لبنان. الطبعة ما ذكرة.

*أيها الولد (الإمام الغزالي). رقم الإيداع ١٩٨٣/٥٠٤٩ -دار النصر للطباعة الإسلامية.

*المنقظ من الضلال.(الغزالي).مكتبة الجندى-القاهرة.

*احياء علوم الدين.(الغزالي)دار الفكر الطبعة الثالثة-١٤١١ ه_١٩٩١م. بيروت- لبنان.

*الحقيقة في نظر الغزالي (د.سليمان دنيا) رئيس قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر. الطبعة الرابعة. دار المعارف-١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة ج.م.ع.

*معيار العلم في فن المنطق (الغزالي). الطبعة الرابعة ١٩٨٣. دار الأندلس-بيروت، لبنان.

*التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة.(د.ابراهيم هلاك) كلية البنات جامعة عين شمس. ١٩٧٩. دار النهضة العربية ٣٢ش عبد الخالق ثروت- القاهرة.

*مجموعة رسائل (٥) الإمام الغزالي. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. الطبعة الأولي ١٤٠٩ه-١٩٨٨م.

*المنقذ من الضلال.(عبد الحليم محمود شيخ الأزهر). الطبعة الثانية ١٩٨٥. دار الكتاب اللبناني- بيروت.

*المعرفة الصوفية.(ناجي حسين جودة) المدرس المساعد/كلية الاداب الجامعة المستنصرية. دار الجيل- بيروت.

*الفرق الكلامية الإسلامية. مدخل.. ودراسة. (د.علي عبد الفتاح المغربي) جامعة عين الشمس.مكتبة وهبة.الطبعة الأولى ١٤٠٧ ه-١٩٨٦م.

*الصوفية (في نظر الإسلام). سميح عاطف الزين. دار الكتاب اللبناني (بيروت-لبنان)- دار الكتاب المصري(القاهرة ج م ع). الطبعة الثالثة ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

*الإمام الغزالى وعلاقة اليقين بالعقل. (د.محمد إبرهيم الفيومى). دار الفكر العربي-القاهرة.

*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب المصرية القسم الأدبي (القاهرة)- ١٣٦٤.